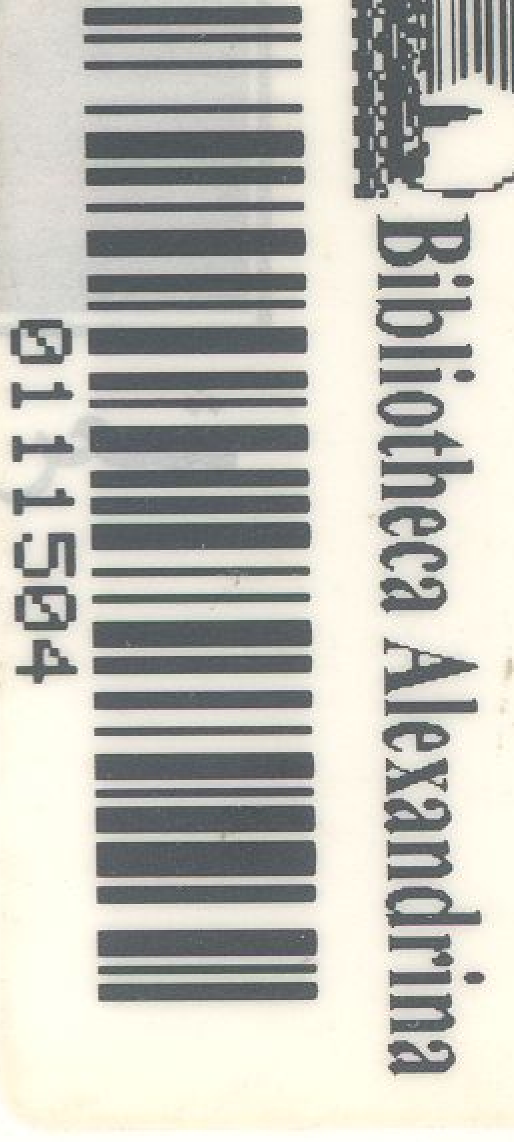
أوراق مسافر

فيصل سليم التلاوي





أوراق مسافر

شعر

فيصل سليم التلاوي

لوحة الغـلاف للفنان : محمد الطلاوي

الطبعة العربية الأولى : يوليو ١٩٩٨

رقم الإيداع : ١٠٢٢٧/ ٩٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-100-0



السلسلة الأدبية

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام

على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : محمد الغليونى

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

فيصل سليم التلاوي

أوراق مسافر

شعر



إلى الوجه الذي غاب

مثل أطفال بلادي الطَّيبين

وَجهُهُ يَنضَحُ دفئاً وحنين

كان يَهوى الأرضَ والزيتونَ

والنهرَ وأعراسَ الصَباحْ

ومَواويل "العتابا"

يَكرَهُ الظُلمةَ والبِيدَ وتَصخابَ الرياحْ

والدّمَ المسفوحَ من خُضْرِ الجراحْ . .

***

مثل أطفال بلادي الحالمينْ

برُؤى البحرِ ويافا والسفينْ

خُضرَةُ الريف بعَينيه

وفي جَبهتهِ السَمراءِ آثارُ كآبهْ

وعلى العينينِ تَهويمٌ وأطيافُ سَحابهْ

***

وَأَتتنا الريحُ في ذاتِ مساء

وبكتْ أُمي وقالت :

لَعنةٌ حلَّتْ بنا هذا الشتاء

ساحَةُ القريةِ طوفانُ دماء

وكلابُ البحرِ تَغزونا كأسرابِ الجَرادْ

تنهَبُ الحقلَ الذي يَحلُمُ عاماً بالثَمَرْ

تَخطفُ الطفل الذي يَحلُمُ في أُرجوحَةٍ فوقَ القمرْ

ومضى عامٌ ثَقيلْ

راعِفُ الجَبهَةِ مَشؤومٌ هَزيلْ

***

مثل أطفال بلادي الثائرينْ

صار ماجدْ

يَعبرُ الشارع مَرفوعَ الجبينْ

وزغاريدُ تعالى في زوايا الحَيِّ : عادوا سالمينْ

صارت "البَقعة" مَوّالَ حنين (١)

يَملأُ الدُنيا صداهْ

"المجدُ للمقاتلين .. المجدُ للمقاتلين"

***

(١) البقعة : أكبر المخيمات الفلسطينية في الأردن .

مثل أشبالِ بلادي الثائرينْ
صار ماجدْ ، يكرَهُ السيارةَ الزرقاءَ كالحقدِ الدَفين [1]
كالدمِ الأزرقِ في روما ونيرونِ اللعينْ
يُبغضُ الأمطار في عينيَ صَبيّه
يتَمتّها أمسياتٌ دَمَويهْ
والأهازيج المُدَمّاةَ الشَقيّه
ورُؤى تشرينَ في وجهِ فتاةٍ قرويهْ

***

(١) السيارة الزرقاء : سيارة وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة .

صارَ ماجدْ

يَعشَقُ الأرضَ التي تُنْبتُ عُنْفاً وَرِياحْ

والتي تُورِقُ من نَزْفِ الجِراحْ

والتي تُزهِرُ في الصحراءِ ورداً وأقاحْ

ويُغنّي لِيَدٍ تَحْمِلُ خُبزاً وسِلاحْ ..

ومضى ذاتَ مَساءْ

لم يَعُدْ بينَ الرِفاق

بَقيتْ منهُ بَقايا بُندقيهْ

وفتاةٌ قَرَويهْ

صَوتُها مَزَّقَ صمتَ الليلْ

"طَلَّتْ البارودة والسَبِع ما طَلْ

يا بُوز البارودِه من النَدى مِبْتَلْ" [1]

***

(١) مطلع اغنية شعبية فلسطينية .

ومضى ماجدُ لكني أراهُ

طَيفُهُ مَحفورةٌ في العين لا زالَتْ رُؤاهْ

خُضرَةُ الريف بعَيْنيه

وفي جَبهتهِ جُرْحُ الرَبابهْ

ويَدٌ شَدَّت على أيدي صِحابَهْ

وعلا وجنَتَهُ الضوء الذي يَغسِلُ أدرانَ السَحابهْ

بغداد ١٩٦٩ م

❑

رسالة لن تصل

هذي الرِسالةُ سوفَ تَذرُوها الرِياحْ
وتُحيلُها إرباً مُمزَّقةً ونَهْباً مُستباحْ
لن تَعبُرَ الجِسر الذي عَينيكِ ضِفَّتهُ
وَضِفَّتُه الصباحْ
فالبابُ يُوصَدُ بيننا
والريح تُعْوِلُ في الدُوروبْ
والليلُ ، والطرقاتُ تأكلُ عابِريها
والبحارُ تَمور والطوفانُ يبتلعُ السفِين
ويَجيءُ صوتُكِ عبر صمتِ الليلِ
كالنغَمِ الإلهيِّ الحَنون
كحكايةٍ خضراءَ تُورِقُ في بلادي
في شِفاهِ الظامئينْ
في لَثْغَةِ الأطفالِ
في وَهَجِ الحَناجرِ والعُيون

وتَظلُّ تَكبرُ

رغمَ هَولِ الريحِ والأرضِ اليَباب

وحشرجاتِ رحى السنينْ

(لابُدّ من يافا وإن طالَ السفر)

ويجيءُ صوتُكِ

في صفير الريحِ في حُزنِ القَمرْ

(قلبي على وَلدي وقَلْبُكَ يا بُنَيَّ على الحَجرْ)

مطراً ، فتشربُهُ شَراييني

فَتُورقُ في شَراييني الجراحْ

وتظَلُ تَقطرُ بالحنين

تَمورُ ، تَعزفُ كالوَترْ

وأنا يَصيرُ الشوق في قلبي وفي عيني إبَرْ

وأنا أحِنُّ إليكِ

يُحرقني الحنين كأن باباً من سقر

فُتِحت مَصارِعُه عَليَّ

وراح يُلهِبُني شَرَرْ

***

هذي الرسالة لن تطير إليك يحملُها البَريدْ

ويجيءُ يقرعُ ذات يومٍ

بابنا الهرمَ العتيدْ

ليقول إن رسالةً جاءتْ من البلدِ البعيدْ

فالدربُ ناءٍ بيننا

والبيدُ تَقفو إثرَ بِيدْ

والموتُ والطوفانُ والدمُ والحَريقْ

والنهرُ يفغَرُ فاهُ كالزمنِ السَحيقْ

حيث الجنود يُرابطونْ

والموتُ للأشواقِ والذكرى وباقاتِ الحنينْ

***

هذي الرسالة أنت يا أمي الحبيبةُ لن تَرَيها

وأخي محمدُ لن "يَفُكَّ" حُروفها يوماً

ولن ، لن تسمعيها

لن تزرعي عينيك بين سُطورها

وتُحدقين لعل طيفاً لابنك النائي الغريبِ يلوحُ فيها

لكنني والشوقُ يُزَرِعُ مُهجتي ألماً وهَمّا

سأظلُّ أنقُشُ رسمكِ المعبودَ

في زنديَّ وشما

وأخطُّ ألفَ رسالةٍ قد عُمِّدَت دمعاً ودما

وأنا حملتك في خيالي

صورةً نطقَتْ ورسما

وأنا أُحسُّكِ في شِفاهي

كُلما خَطبٌ ألَمّا

وأنا أُوَلوِلُ مثل طفلٍ في دروب الليل

يُفزِعُهُ الظلام إذا ادلهما

ويفِرُّ ، لا يلوي علي شيءٍ يُغَمغِمُ آهِ "يَمّا"

***

أمي الحنونة

والرسالة في الختام لَديَّ أسئلةٌ صغيرهْ

كيف الأحبةُ والجوار ؟ وكيف أخبارُ العشيره

و (دلال) آه ! أذوب يلفَحُني الحنين

كأنه وَهَج الظَهيره

شوقاً لعينيها وطلعتها الأميره

وأودُّ لو أني أطيرُ

أجيء عبر الليل تحملني مواكبُه اللعينه

فأقبل الخَدّين والعينين منها والضفيره

لكنني وكما يقول الناس في الأمثال في ألمٍ وحَيرهْ

العينُ مُبصرةٌ ولكن اليَد البتراء يا لهفي قَصيره

الجزائر ١٩٧١

❑

إلى مقهى في بغداد لا يحمل اسماً

تُمطرُ الدنيا شَظايا ذكرياتْ

يستحيلُ الحزنُ شَدواً والأماني أُغنياتْ

مِرْجلٌ في القلب يغلي ثم تهمي عبرات

وعلى الخدين ينهَلُّ مطرْ

آه ! يا مقهىً على زاوية الشارع في بغداد

رُوّادك أفديهم بسمعي والبصر

يا صديقي أنت مجهولٌ ولا تَحملُ اسماً

والأُلى حولي هنا لم يسمعوا عنك خَبَرْ

أو يذوقوا شايك "الطوخ" على ضوء القمرْ [1]

آه ! لو أقدرُ أن آتيكَ زحفاً ذاتَ يومْ

أُوسِعُ الأبوابَ لَثماً والحَجرْ

---

(١) الشاي الطوخ : هو الشاي الثقيل باللهجة العراقية .

أسأل الرُوّادَ عن دهرٍ مضى

ورفاقٍ بُعثِروا عبر المدى

بعضهم أبحر في التيه ، وبعضٌ غابَ في بحر الردى

تَنَهشُ الذكري فؤادي ، يقطِرُ الحزن دما

ويفيض الصمت أخباراً وذكرى وشذا

مثلما تَهمي فيافي البيدِ ليلاً بالحِدا

عندما تَندُبُ فَيروزيّةٌ

في ضمير الليل يَرتَدُّ بأعماقي الصَدى

نَغماً ، إيقاعهُ شَوكٌ ودمعٌ ومُدى

آهِ ! لا ، لا ، تندهي ما في حدا" [1]

والزمانُ النحسُ لن يُرجِعِ يوماً ما انقضى

***

(١) مطلع اغنية لفيروز .

أيها المقهى الذي يغفو علي ناصيةِ الشارعِ
لو تَعرِفُ ما طعم الحنينْ
عندما ترتَسِمُ الأطيافُ ملحاً في الجُفون
ورُؤى الأحبابِ نقشاً في الجبين
أيها المقهى الذي لن أتفيأ أبَد الدهرِ سَماكْ
أيها المقهى الذي غِبت ، ويوماً لن أراكْ
ذاكرٌ أنت لقاءات الرفاق
و"أبو نجمٍ" إذا حَدّث في نَبرتِه صوتُ مَلاكْ
و"أبو نجمٍ" رفيقي وأبو كلّ الرفاقْ
لَوّحَت جَبهَتَهُ شمسُ "الخليلْ"
والنياشينُ على زنديه شاراتُ مُرور
أنّه مَرّ على كل السُجون
ورفيقي خاض في بحرِ المنون
ثم في "الجفر" تَعمّدْ
و"بعمّان" مضى رشاشه الموعود يُرعد
أنا لا أعرف هذا اليوم شيئاً
عن أبي نَجم صديقي
كل ما أعرفه : أنه يحمل الرشاش دوماً في الأصيل
حالماً أن يزرع الكرمةَ يوماً في الخليل

***

أيها المقهى الذي يهجع في جفن المُحال
خلف شُطآن ضَواري
دونها تندق أعناق الرجالْ
ولها ما شد يوماً سِندباديٌّ رِحالْ
أيها المقهى الذي لم يدر ما دمعُ الرجال
عندما تُومِضُ يوماً في العيون
قصةٌ عن صاحب أدلجَ في ليلِ المنون
غاب ، لن يرجعَ يوماً
والذي يحلم أن يُبصِرَهُ
كالذي يَقتاتُ من كشف الظُّنون
في زمانٍ يُصبحُ الحبر دماً فيه
وتَرتَدُّ القراطيسُ نِصالْ

أنت ما زلت ومن روادك الأحباب ما زال "نضال"

وأنا أعشق في عينيه "يافا" بَحرُها والبُرتقال

ونضالٌ كان أغلى الناس عندي

كنت في جَبهته الشمّاء أستطلعُ هاماتِ الجبال

وبعينيه بحارٌ ما لها قطٌّ قرار

كان يهوى الأرض والشعر وشارات القتال

ويُغنّي دائماً للريح إذ تَخطرُ من صَوبِ الشمال

"ميجنا ويا ميجنا ويا ميجنا

ريح الشمالِ يا نسيم بلادنا"

١٠/٢/١٩٧٢ م

الجـــزائـــر

□

الكتابة من نافذة الجرح

وأكتبُ حين يغدو الجرح نافذةً سَماويّهْ

وقنطرةً تمُدُّ بِجيدها للشمسْ

ليعبُرَها رجالٌ يحملون الجرح فوق جِباههم شارَهْ

أتوا من مرفأ الأحزانِ نَحو جزائرِ الرعدِ

وفي وَمضاتِ أعينُهم تلوحُ حرارةُ الوعدِ

***

وأكتبُ والمدى يمتدُ أُغنيةً

ذكرتُكِ منذ أن كُنّا صَبيينِ

نُلَمْلِمُ باقَةَ الزَهَرِ

ونرسُمُ دارةَ القَمرِ

وكنتِ أميرتي ، وكما تُحَدِّثُ جَدتي

فكأن طيفَكِ من بناتِ البحر حُوريهْ

رأيتُكِ مثل نخلِ البيدِ والشمسِ الشتائيهْ

***

لمحتُك حين أصبحنا غريبين

وفي عَينيك يا قَمري

برغم غزارةِ المطرِ

وذاك الغيم يَحجبُ طَلْعةَ القمرِ

تراءَتْ خُضرةُ الشَجَرِ

وعطرُ الأرضِ والليمونِ والثمرِ

***

عشقتك حين أصبحنا رفيقينِ
نَمُدُّ رقابنا جسراً على النهرِ
وحيث تَعَمَّد الأبطال والشهداء فانتظري
ليعبر جيلُنا الآتي لموعِدِه مع البحرِ
يَدُقُّ بيارقاً حمراء يزرعُ ساحةَ الوطنِ
عشقتك حين خانت خيلَها الفرسانْ
وفَلَّتْ غَربها "عَمّان"
عشقتك حين صار العشق مشنقةً ومَوْجَ دُخان
وحيث يُعمّد العشاق بالنيران
ومذ صرنا نُواري قامةَ الشهداءِ بالأهدابْ
ومن ضَوءِ العيون نَصوغُ مرثيهْ .

***

فإن يأتوك يا مَكحولَةَ العينينِ بالخبرِ
فضُمّيني إلى نهديكْ
أشقُّ غُلالةَ القمرِ
وفيك أشم عطر الأرض والزيتون والزهرِ
وأُوصيكِ : احرقيني واجعليني مرةً كُحلاً لعينيكِ
وذرّيني إذا ما شئتِ
تحت ظلال زَيتونهْ
لعل الزيت يُصبح شارةً في الدرب مَضويةْ
ولافتةً تُضيء على المدى
خبزاً وحرية

الجزائر ١٩٧٤ م

❑

صحبة النشء

بمناسبة تكريم أوائل الطلبة
بإحدى مدارس مكة المكرمة

نطق الشعر عُنوةً يا صِحابي بعد ما عفتُهُ وأوصدْتُ بابي
من سنينٍ ما أدفأ الشعرُ قلبي أو تَرنَّمْتُ بالقوافي العِذابِ
يالقيثارتي التي أصدأتها عادياتٌ تراكمت كالسحاب
ورياحٌ هوجٌ تُولْوِلُ في الدر ب ووجهٌ مُعَفّر بالتراب
ورمالٌ تسفها البيد تتْرى وسرابٌ يلوحُ إثْرَ سَراب
من جراح الأقصى ومن جبل الزيـ ـتون والمهدِ والذُرا والقِباب
قبسٌ من سنا فلسطين شعري ولساني وريشتي وخطابي
وجراحات أمتي تتوالى تزرع اليأس في نفوس الشباب
غير أني أرى بصيصاً من الضو ء ونوراً يشع وسط الضباب
وغداً واعداً وفجراً منيراً شع في الأفق فوق خضر الروابي
بكُمُ يا رباعم المجد يا أمل الـ ـعُربِ في غدٍ عزيزِ الجناب
أنتم زهرنا النَديُّ، وغرسٌ طيبٌ، طاهرٌ، وغضُ الإهاب

أنتم اليوم في القلوب وفي الأعـــــين فـي صـــدر كلٍّ خـطاب

وغـداً ترتجي الـبلاد بنيـهـا ... فـيردون مـثل أُسْدِ الغـاب

فـإذا العُرْب أمـةٌ وَحّدَتْهـا ... شـرعـةُ الله في أعَزِّ كـتـاب

شـرفٌ يا براعـم المجـد أني ... لكُمُ قـد وهبت عِـزَّ شبـابي

حينما اخترت منهج الرُسْل دَرباً ... ورضيت التـعليم نهج الصواب

وبكم تأنس الـنفـوس صبـاها ... تتحدى ، رغـم الجروح الرِغاب

صحبة النشء تملأ النفس شوقاً ... وحنـاناً ورقـــةً .. وتَصـــابي

يوم تـكـريمِـكـمُ تَـدفَّـقَ نَـبـعٌ ... من حـنايا الـضلـوع والأهداب

يحـمل الشـوق والحـنين إليكم ... ويُغنّـي لأخلصِ الأحـــبــاب

أنـا قلـبي هـديةٌ ولِـســـانـي ... لكُمُ اليومَ يـا أعَزَّ الصِحـاب

مكة المكرمة ١٩٨٦ م

❑

أهلاً بيوم الأربعاء

يوم الأربعاء هو نهاية الدوام الأسبوعي
في دول الخليج حيث يعمل الشاعر .

أهلاً بيـوم الأربعـاءْ   يـوم الوداعـة والهناءْ

فـيكَ الهموم تبدّدت   وانزاح عن ظهري العناءْ

فـالكل يرقبـه بصـبـرِ فـارغٍ يرجو اللقاء

ليـزيل همّاً جـاثماً   في الصدر قد كتم الهواء

فـإذا الدوام المُرّ ثقْـلٌ قد تأذّنَ بانقضاء

أعـدو إلى بَرّيّة   وأهيمُ فيها في العَراء

وأغَطُّ في قـيلولةٍ   طالت إلى بعد العشاء

أُمضي سُوَيعات المسا   ء أزور أوفى الأصدقاء

هذا زمانٌ فيه يندر من تَخَلّق بالوفاء

إني لأذكـــر كــــيف كـــا ن السـبت مـفـتـاح الـعطاء

أمــــضي إليــــه وملء نـفـــــــسي كل عـــزمٍ وانتِـــشـــاء

مُـــتَـحـــفـــزاً فـي هِمَـــةٍ شَـــمّـــاء تقـــهـــر كل داء

ويمر أُســبــوعي ســخــيـــــاً قـــد تَـضـــوّع بالـثناء

ونهـــاية الأســـبـــوع تو حي بـالضــيـــاع وبالخـــواء

مـــاذا جـــرى إني لألـــــــهث نـحـو ظهـر الأربـعـاء

وأحـس أني جـــــشـــــة همـــــدت وهـدهـدهـا العـناء

ألأنَّ صـــيف العـــمـــر وَلَّى والأمـــور إلـى انتـــهـــاء ؟

وأتـى الخـــريف ببـــــرده وغــداً سيـعـقـبـه شـتـاء

***

أبداً فهذا ليس خطبُكَ إنما عَمَّ البلاء

وأرى شباباً عَجّزوا قاماتهم فيها انحناء

منذ البداية شَيَّبوا قد هَدَّ كاهلَهم عياء

يا قومنا أين الفُتوةُ والعزيمةُ والمضاء

هذا التَرهُّلُ والخمول كأنه خبز وماء

فتياننا ولِعوا به وبه لصحتهم غذاء

يا قوم هذا الداء أقعدنا أليس له دواء ؟

فإذا خطا الأسبوع خطوته الوليدة في حياء

ضَجَّتِ حناجرهم مدويةً وبُحَّتْ في الدُعاء

ملهوفةً نظرت بشوقٍ نحو ظهر الأربعاء

❑

تأمـــــلات

هبطت إليكَ مع الخَواطرْ مَسفوحةَ الدمِ والمشاعرْ

لا الفَنُ جاد بها فأبدَعها ولا قيثارُ شاعر

صدحت مع النغم الشجيِّ فَهيَّجتْ فيضَ الخواطر

ومضت تئن مع الغرو ب أنينُها يُدمي المحاجر

رقّت لرقتها القلو ب وشَدْوُها بَحَّ الحناجر

هي زفرةٌ حَرّى تو قَّد جَمرُها وجدان ثائر

هي لوحةٌ فَنِّيةٌ زانت بمُبتكر المناظر

أنا لست أدري كيف جا ءتني ومن أيِّ المعابر ؟

نفذت إليَّ وأيقظت مخبوء أيامي الغوابر

من أي ريحٍ صرصرٍ هَبَّت وأشعلت المجامر

من بعد أن أطفأتها وغذت سيرِيَ في المهاجر

ومضيت في سفر ولم أحمل معي زاد المسافر

حتى القصاصات الصغا ر وبعض أوراق الدفاتر

ضَيَّعتها في غَفلةٍ ضَنَّت على قلمي المحابر

وعرفت كل مجاهل الد نيا وأشباح المقابر

ونقشت فيض الذكريا ت ، حفرت صخراً بالأظافر

وتركته في الريح تمثالاً لعابرةٍ وعابر

أو شاهداً لقبور أحبابي الخوالي والحَواضر

يا أيهـــا الحُلُم الـذي		وَلّى وأوغل فـي الدياجـــر

لِمَ كـلمــا حـــان اللقـــاء		وجــدتني دومـاً مـغـادر ؟

لِمَ كلـمــا امـتــلأت جـرارُ		الزيـت أو فـــاضَتْ بيـــادر

هذي الســـمـــومُ الذاريا		تُ تَسِفُّ ، تَقطعُ كـل دابـر

وتفــرق الأحـــبـــاب مـــا		أبقـت جِـواراً أو أواصـــر

لِمَ قـطرة الأمـل البــهـــيج		تَضيعُ في وَهَج الهـواجـر ؟

وتُخَلِّفُ الظمـــأ المروِّ		ع في القلوب وفي الضمائر ؟

❑

إلي صديقي شفيق الصوص

وإلى كل رفيق ضيعته في دروب الصبا
ولقيته على أعتاب الشيخوخة

وكان شفيق صديقي الأثيرْ وَضيّعتُهُ في دُروب الحياهْ

ثلاثون عاماً مضت أو يزيد انقضت حُلُماً راعِفاً مُقلتاه

صبيين كنا غداة افترقنا وأسرج كلٌّ مطايا مُناه

يُسابق خيلاً كبت في الطريق وأُخرى تَسيرُ إلى مُنتَهاه

مضى صاحبي غاب في زحمة الدرب ناديت : يا مَنْ لعَيني رآه

وأرهفتُ سَمعِيَ دهراً لعلي على الدرب أسمعُ وقعَ خُطاه

لقد بُحّ صوتي ، تثاقل سمعي وما رجَّع الصوت إلا صداه

وشيخين ذات مساء التقينا بلا موعد ، صحت : يا ويلتاه

أأنت صديقي الذي ضاع مني ؟ وأوغل في التيه ، واحسرتاه
على عُمُرٍ ضاع منا ربيعاً وصيفاً وها قد وصلنا شِتاه
وأقسم لي : ما عرفتك قطٌّ هو الصوت ما غاب عني شجاه
ذكرتُكَ صوتاً شَجِياً أجَشٌّ وشعرُكَ يقطرُ شوقاً وآه
وإذ نحن في فصلنا المدرسِيِّ نُداعبُ يوماً جميلاً رُؤاه
زمان الصِبا يا ربيع القلوب ألا كل حَيٍّ يُغني صِباه
سلامٌ على الصَحبِ في درسهم على الأبِ لا يَفضضِ اللهُ فاه
معلمنا العبقري الأبيّ رعته وصانته عينُ الإله
وطلاب عزمٍ وحزمٍ مضينا وما لان يوماً لدينا قناه
وكم قدِ هتفنا ، وكم قد صرخنا بملء الحناجر ، ملء الشفاه
جموع تثور ، وموج يمور هو الدم جابه سيف الطُغاه

ذكـــرنـا الرفــاق وأيامـــهم ... ومن صـار صاحـب عزٍ وجاه

ومن كـان فـي فـقـره مُـدقـعـاً ... وقـــارون أورثـه مـن غنـاه

ومنا الصـعـالـيك في أمـسِـهِم ... وصـاروا سلاطين حُكم عُـتـاه

وكم كـان في صـفنـا من بليـد ... ويحـمل في يومنـا دكـتـوراه

ومنا الشـهـيدُ ، ومنا الشـريدُ ... مَضـوا ما حَنَوا هـامهم والجبـاه

فكانوا الجسـور لدرب الحـيـاة ... لتـمضي عليـها جـموع المُشـاه

ومنا الـذي مَرَّغـتـه الحـيـاةُ ... تَجـرَّع من مُـرِّها مـا كـفـاه

وكـان الفـتى المـاجـد المُستـهمَّ ... إلى كـل خـيـرٍ يُـلَبي نِداه

زمـــانٌ يـحطُ الـرفـــيـعَ ... وكم من وضيعٍ عـلا مسـتـواه

هو البـحـرُ ، في القـاعِ دُرٌّ ثمينٌ ... وتعلو الـطحـالبُ وجـهَ الميـاه

❑

عودة إلى نابلس

كَحِّلِ العَيْنَ من رُبوعٍ غَوالي تُربها التبر والحِجارُ لآلي
قَبِّل التُرب عانق الأرضَ شوقاً بدُموع مُسترسلاتٍ سِجال
ليس طيفاً في خاطري ما تراءى ليس حُلماً يَمرُّ عبر خيالي
إنها مُهجتي وتوأم روحي يا لَشوقي لها وحَرِّ انفعالي
هي "نابلس" ما أراها بعيني بعدها ما أسفت لو حال حالي
واستحالت أيامِيَ البيض سوداً والنهارات غَيَّبتها الليالي
فلهذا النهار قد صمت دهراً كيف كان الإفطار لست أبالي
أنا حسبي أني شَممتُ شذا نابُلسَ ، زيتونها ، وخُضرَ الدوالي
من جنوبٍ أحاطها "الطور" حضناً و"لعيبال" حضنه من شمال [1]

(١) الطور وعيبال جبلان يحيطان بمدينة نابلس من الجنوب والشمال

أبد الدهر يحدبان عليها في حُنُوٍ ورقةٍ وابتهال

ويتيهان عزةً وصموداً "جبل النار يا أعز الجبال"

يا خليليَّ عرِّجا صوب "تلٍ" (١) تينُها الشهدُ لا يزال ببالي

واسقياني من طيب "فَوّارِها" العذب أو عَمِّداني من ماء "بير الغزال" (٢)

برءُ أيوبَ من سقام سألقى وشفاءٌ من كل داءِ عُضال

لك يا ساحِ صبوتي وشبابي عهدت كهلاً وشيبتي في اشتعال

أنا لو جئت ميتاً سوف أحيا وتدب الحياةُ في أوصالي

ليس وهماً هذا الذي يتبدى من بديع الرُؤى وفيء الظلال

ـد تركنا وراءنا يا رفاقي زمن التيه والتماعِ الآلِ (٣)

وطمرنا على الطريق سُيولاً من هَدير الأقوالِ دُون الفعال

١) تل هي قرية الشاعر إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس
٢) الفوّار - بئر الغزال - نبعا ماء في قرية الشاعر
٣) الآل : السراب

إنهـا الأرض مـا ترون فلسطين ... منـارُ العـلا وبنتُ المعـالي

بحـرها الدَمُّ والدمـوع سَـوياً ... من بَنيهـا على مـدى الأجيـال

نهـرهـا الخـالد المُضَـمَّخُ عطراً ... سـهلها مَوجُ خُضـرةٍ وجمـال

يا جبـال الجليل والقدس تِـيهي ... أنت للأرض أنفـهـا المُتـعـالي

نحـن يا زهـرة المدائن جـئـنا ... وطن المجـد والسَنا والجـلال

إنهـا خطوة البـداية في درب ... مـداهُ ألـفٌ من الأمـيـال

وسنمـضي علـى الطريق سوياً ... وطن سَيِّـدٌ وشـعبٌ نَضـالي

□

صديقي الصامت

صاحبي كان صموتاً دهره | مُطرِقَ الهامة ، لَمّاحاً ، حَيِيْ
حكمةُ العارفِ في هيئَتِهِ | وعلى الوجه خيالٌ شاعِري
يُحسنُ الإنصات ، ما أسمعه ! | بَيْدَ أن القولَ مهموسٌ خَفي
قلتُ : قد حَيَّرتني يا صاحبي | إن هذا الصمتَ نُطقٌ عبقري
قال : لا تعجب فإني بشرٌ | أعشَقُ القولَ بتَرنيمٍ شَجي
غير أني لم أجد من قال لي : | لك قلبي ، ليس تكفي أُذُنَيْ
أنا إن أمضيتُ دهري صامتاً | ثم فاضت حكمةُ اللهِ عَلَيّ
لا تقل في أمسه كان فتىً | لا يُجيد النطق تأتاءً عَيِيْ
أنا إن آثرت صمتاً دائماً | فَلأَنَّ الصمتَ أغلى ما لَدَيّ
في زمان أصبح القولُ به | دجلٌ محضٌ وتزويرٌ سَخِي

إنَّ صـــمتي يـا صـديقـي زينةٌ		في زمانِ اللغو والفحش الشقَي

والأحـــاديثُ على كـــثــرتهـــا		هَـذَرٌ غَثٌّ، وتَـرداد غَـــــبِي

أو مـــا قـــالوا قـديماً يا أخي		ويظـل القـــولُ حُـكمــاً أزَلِي

إن يكن مـن فـضـةِ مــا قلتُــهُ		ذهبٌ صـمـتُكَ لو تصغي إلَيّ

لا تسلنـي لِمَ أمـضي سـاهمـاً		مُطبـقـاً عـن كل قـولٍ شَفَتيّ

مطرق الرأس صَـمـوتاً شـارداً		إنه حـــالي وطـبـعـي الأبدي

لا أرى في الـناس إلا صُـــوراً		ودُمـىً تغـــــدو بزيٍّ آدمـي

بشــــرٌ مـن ورقٍ قـــامـــاتـهـم		ومن الأصـــبــاغ بادٍ وخَــفِي

إنني الراهـب في صـومـعـتي		لُذتُ من دنياي فـي رُكنٍ قصي

❑

يا جيرة الحرم المكي

حَنَّ الفؤاد وهاج الشوق مُنطلقاً ... ولست أعهده قد هام أو عَشِقا

عهدي به أنه ثاوٍ على شَجَنٍ ... وأنه بهموم النفس قد غرقا

ما ذا الذي يَعتريه اليوم من شَغَفٍ ... وما الذي في وميض العين قد برقا

شوقاً لمكة هذا الفيض يحمله ... والعشق والوجد والقلب الذي خفقا

لكعبة النور في إجلالها انتصبت ... مهيبة تنشر الأضواء والألقا

فأشرقت في شغاف القلب والتمعت ... وهاجةً لتضيء العين والحدقا

يتوق للبيت طوّافاً بكعبته ... لهيبة الله والنور الذي انبثقا

من بطن مكة يهفو الخافقان له ... نورٌ أضاء فجاج الأرض والأفقا

محمدٌ خير من سارت به قدم ... وخير من أبدع الباري ومن خلقا

يهفو لأم القرى من ساحها انبثقت ... بيارق الله والزحف الذي انطلقا

مهاجراً يحمل التوحيد رايته ... شوقاً لطيبةَ لما طيبها عبقا

والفاتحـون الأُلى حطوا بأندلس		غربا ، وبالصين حيث النور قـد شرقا

عادوا ملبِّين والدنيـا تصيخ لهم		إذا الحجـيج امتطوا خيـلاً لهم بُلُقا

ضوامراً من فجاج الأرض قد وفدت		مُلبيـات توالي الفجـر والغسـقا

تدعـو لخـالقهـا والعين دامعـة		والقلبُ منفطـرٌ من هيـبةٍ فَـرَقـا

ترنو إلي رحـمـة منه ومـغـفـرة		حنت لخالقـها الهامـات والعنقا

يا جيـرة الحـرم المكيّ مـعـذرة		أهدي لكم من فؤادي الروح والرَمَقا

غنيت مكة إذ جاورت كـعبتـها		حيناً وغنيتـها مذ سوت مُفـترِقا

ضاقت بي الأرض مذ فارقت جيرتها		ورحت أسأل عنها الركب والطرقا

هل سامع شاقَهُ صـوتي وهيَّجه		مُـتَـيّم قلبه ، بـالدمع قد شـرقـا

يا ذاهبين إلى أم القـرى مـعكم		قلبي يطيـر إلى الأرض التي علقـا

❑

يا أرجأ من وهج صلاح الدين

يا جيش صلاح الدين الظافر في حطين

يا سيف صلاح الدين القاهر للأعداء ، ذوي قُربى وصليبيين

هلا عَرّجت على 'غزه'

وأعرت 'أريحا' واحدةً من راياتك

تستر عُريا يفضح منها سوأتها

منديلاً مهترئاً ، تمسح عن وجنتها الخجلى دمعتها

***

يا للشَرَرِ المتطايرِ تحت سنابكِ خيل صلاح الدين
والجيش الفاتح في أرض فلسطين
يصعد جبلاً ، يهبط سهلاً ويُيَمِّمُ صَوب البحرْ
تفتح "عكا" عينيها وتفيق على حُلُمٍ بكر
تُرهف أذنيها لسماع أذان الفجر
ينزاح الكابوس الجاثم فوق الصدر
يدفعه الجيش الزاحف بالرايات الخُضر
عميقاً يهوي في قاع البحر
غَيَّبهُ الموج وعاد ليغسل قدميها بمياه الطهر

***

يا أنف صلاح الدين الساجد شكراً فوق تراب القدس
وجبيناً مَسَّ الأرض اليوم وبالأمس علا هام الشمس
إنا نسترجع طيفك في أيام النحسْ
نُشهره رمحاً في أعين من باعونا بالثمن البخس
من كسروا السيف ، أحالوا الغمد عصاً ، والصرح الشامخ
زنزانة حبس
إنا نستجدي من أيامك يوماً نرفع فيه الرأس

***

ما حفظوا من إرث صلاح الدين سوى 'صلح الرمله'

مـا لمحوا مـن مشـهـد هذا المغـوار الطالع من وهج النار سـوى

لحظات الكبوه

اللعنة يا صلح الرملةْ

يا عملاقاً رفعت كتفيها لتُطاوله نمله

ما كنت سوى خطوه

تتراجع للخلف قليلاً ، تغرس قدميك على أرض صلبه

تتبعها قُدُماً آلاف الخطوات

تهزم "قلب الأسد" الكاسر تأسر "أرناط"

وتبرُّ بقسَمٍ تصنع من جلد الغادر نعلاً . ثأراً مشروعاً لكراماتْ

صوناً للشرف وذوداً عن أعراض الأخواتْ

يا 'صلح الرملة' . ما كنت بكاءً واستجداءً في حضرة صهيون

ما خلفت وراءك ثكلى مئذنة الحرم الصابر في 'حبرون'

وتركت خليل الرحمن وحيداً إلا من شجرة زيتون

يتفيأ ظلاً ، يعصر زيتاً ، ما هان ولا يوماً سيهون

***

يا أرَجاً من وهج صلاح الدين العابق بالطيب

يَتَضَوَّعُ منبره مِسكاً ، تتَرنمُ بالآيِ محاريب

ويفِزُّ "القاضي الفاضل" وسط الجمع خطيب

يتدافع جند الله إلى الساح ، يطاول أنف النجم لهيب

ترتجف الأرض ، تميد ، يظل لها في سمع الأيام وجيب

***

يا طيف صلاح الدين العابر في الأحلامْ

هلا ألمتَ بنا فالكل نيام

قد غطت في نومٍ خيل الفتح وطاشت في أيدي الفرسان سهام

هلا عَرّجت على أهل الكهف لتقرئهم منك سلام

قد طالت نومتهم ، أو ليس لهذا النوم ختام

قد طال الليل ألا صبح يَنْشَقُّ وفجرٌ يبزغ بعد ظلام

يا طيف صلاح الدين ألا حادٍ يصرخ : يا أهل الكهف أفيقوا

إني أقرؤكم من حطين سلام

إني أقرؤكم من ريح صلاح الدين سلام

❑

كم في الموت من عجب

إلى شاعر العرب الكبير
محمد مهدي الجواهري ،
الذي رحل عن دنيسانا

أبا الفراتين كم في الموت من عَجبِ الصمت أبلغ من قول ومن عتبِ
يا حكمة الله كم ساوت بمنطقها بين العَييِّ وبين الحاذق الأرب
يوحد الموت أحوال العباد على دمعٍ صبَيبٍ غزيرِ المدِّ مُنسكب
ما كان حقك أن تُرثى بقافية من القريض ولا فيضٍ من الخطب
فأنت للشعر والإبداع مُلهمه وأنت كوكبه الدُرِّي لم يغب
الدهر ينشد إذ جددت ثانيةً من ادّعى ذات يوم أنه لنبي [1]
قرناً من الدهر قد جابهت منفرداً هول العواصف والأنواء والنوب [2]
فكنت فارسها المغوار ، مسعرها وكنت خير فتىً يا صفوة النسب
ما وثبة الجسر عن بالي بغائبة ولا صمودك تغشى كل مغتصب [3]
ما حلف بغداد والأيام شاهدة لقوسك الصلب نبعاً ليس بالغرب
ترمي الأعادي وأذنابها لهم تبعاً مُسَيَّرين وإن عُدُّوا من العَرَب

---

(١) إشارة إلى المتنبي .
(٢) إشارة إلى عُمْر الشاعر المديد الذي استمر قرابة قرن (١٩٠٠ - ١٩٩٧م) .
(٣) وثبة الجسر هي انتفاضة مجيدة للشعب العراقي في يناير ١٩٤٨م وكان الشاعر من أبرز فرسانها .

تَرجَّل الفـارس المرهوب جانبـه ليسـتريح من الإعـياء والنصب

أنخ ركـابك فـالفـيحـاء وارفـةٌ ظلالهـا وبنوها أقـرب القُـرُب [1]

"أرح ركـابك من أينٍ ومن عَثَـر كفاك جيلان محمولاً على التعب"

يا شـام ضيـفك أغلى أن يُواريَهُ تبر من الأرض أو يُختَطَّ في التُرَب

فـوسِّديـه عيـون الغـيد هـاميـةً وأطبقي حوله بـالجفن والهُدُب

أبا فرات ، رمـاد كل ما نفـخت شدقاك فيه ، فما أسعرت من لهب

إلا وهبت ريـاح هوج عــاتيــة وأخمـدت جذوة الآمـال والأرب

يوحد الرزء أبناء الشـعوب ولا يفـرق الرزء إلا شعـبنا العـربي

ذكرت يافا التي يوماً حللت بها توجت هامتهـا بالغار والشهب [2]

يافـا التي أفلت من سـاح أمـتنا تبكي فتـاها الذي نادت ولم يجب

تبكيك بغـداد يا ابن الرافـدين فـمـا جفت دمـوع ولا عاف البكاء أبي [3]

---

(١) الفيحاء هي دمشق حيث توفي الشاعر وفيها دفن .

(٢) إشارة إلى قصيدة الجواهري "يافا" التي ألقاها سنة ١٩٤٦م في مدينة يافا .

(٣) أبي تخفيف لكلمة "أبيّ"

ضاق العراق على "المهدي" وهمته ... فأنفدَ العمَر في مَنفىً ومُغتَرَب

"يا ويح بغداد قد دار الزمان بها ... وبدلت بأبي ذر أبا لهب"

فلا الرشيد يقود اليوم صائفةً ... ولا بنوه ذوو التيجان الرُتَبِ[1]

وليس معتصم في غزو رومية ... "وقد تَقدَّمه جيش من الرعب"

قد عافها من بنيها كل نابغة ... "جواهري" يصوغ القول من ذهب

هاموا على طرقات الأرض قاطبةً ... تقطعت بهم الأسباب واعجبي !

على بلاد يَنوشُ الموت فتيتها ... على الدروب بلا ذنب ولا سبب

سوى طلابهم حرية سلبت ... أنعم بطالبها المقدام والطلب

أبي فرات الذي لم يحن هامته ... إلا لخالقه أو شارة الأدب

إذا الجموع انتشت شوقاً لشاعرها ... وصفقت ، هتفت من شدة الطرب

أحنى لها هامةً شَمّاء شامخة ... ما عُفِّرت مرةً بالمين والكذب

أبا فرات وداعاً لا لقاء له ... رَوّى ضريحك فيض الغيث والسحب

وجيرة لصلاح الدين هانئة ... أضفت مجداً إلى ما خُطَّ بالقُضُب[2]

فالسيف والقول في بُرديكما اجتمعا ... والرافدان ، فذا أمي وذاك أبي

٢١/ ٨/ ١٩٩٧م

❑

(١) صائفة : غزوة في فصل الصيف حيث كانت غزواتهم تسمى "الصوائف والشواتي" .

(٢) إشارة لضريح القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي الذي يرقد في دمشق أيضاً وهو من أبناء الرافدين .

خواطر مسافر

لِـمَ أيهـــا الســـــفـــرُ   هَيَّــجـت أشـــجـــاني ؟

وجـــــعـلـتـني أُصـلـى   بـلـهـــيـب نيـــرانِ

ثـمــــــلاً تَـنـوءُ خُـطـاً   وتــزوغ عـــــيـنـانِ

يـا أيهـــا الـســـفـــر   قَـــرَّحـت أجـــفـــاني

وتـركـــتـني فَـــزِعـــاً   والـنـوم جـــافـــاني

مـــا ذقـــتـــه أبـداً   في طـبــعـه الـهـــاني

لِـمَ أيهـــا الـســـفـــر ؟   يـا عُـــمـــرِيَ الثـــاني

تـبــدو رمـــال البـــيـــد تهـــمـي بـأحــــزان

وأخالني وهجاً   في لفح بركان

وتُظِلُّني سُحُبٌ   من فيض تحنان

شوقاً وموجدة   لأعزٍّ خِلاني

ألأنَّ في السفرِ   والموت خيطان ؟

شُدّا إلى سَبَبِ   مُستضعَفٍ واني

سفر هو الموت   وفراق أوطان

وأحبةٍ في القلب   هذا الخافق الحاني

حَمّلتُه شططاً   فشكا وجافاني

وأحلته وَرْساً   عن لونه القاني

ما ضَمَّني سفرٌ إلا وأعياني

وأحالني شِلواً مُتهالكاً فاني

شبحاً تسوق الريح في زِي إنسان

ووجدتني زبداً في بحر أزمان

نعشي على كتفي من دون أكفانِ

سفرٌ على سفرٍ يا قلبيَ العاني

يُطوى الشراع غداً في مرفأٍ دان

ويغادر الملاح ليلاً وينساني

هي سفرة مزجت شَكّي بإيماني

هي لوحة بهتت من دون ألوان

لك أيها السفر وجدي وهيماني

أجَّجت عاطفتي وسَبَرت وجداني

ومنحتني وتراً فعزفت ألحاني

❑

تكريم المعلم

يا ربة الشعر حَيِّ العلم والأدبا والفكرَ مُفتَتِنٌ من نَشوةٍ طربا

حي المعلم مزهواً بفتيته نعم البنون وأنعم بالكريم أبا !

حي المعلم مختالاً بصحبته وخير ما صحب القرطاس والكتبا

وفتية من أولي الألباب نابهةٌ عقولهم ، بورك الصحب الذي صحبا

معلم الجيل والأنظار ضارعةٌ إليه قد أودعته الروح والعصبا

وأمّنتهُ على أكبادها أمم يرعى الأمانة والحق الذي وجبا

يهذب الجيل بالأخلاق رائقة ويصقل النشء بالدر الذي وهبا

من العلوم غزيرات مناهله وكل طالب علم يدرك الطلبا

عيد المعلم يوم لا مثيل له ولا يدانيه يوم شَطَّ أو قَرُبا

يوم المعلم في الأيام مفخرة تاهت بها الأرض وازدان المدى شُهُبا

يا مهنةً شَرُفَت ، جَلَّت مكانتها بالأنبياء الأُلى مدوا لها سببا

يعلمون عباد الله خيرهم إن النبي إلى التعليم قد نسبا

قد قال شوقي قديماً قولةً صدقت وأعذب القول قولٌ جانَبَ الكذبا

كأنه مرسل من عند خالقه هذا الذي هتك الأستار والحجبا

وصَيَّر الجهل نوراً عند ناشئة رَوّاهم العلم والأخلاق والأدبا

يا مالكين زمام الأمر في وطن يرنو إلى صنع جيل يمتطي السحبا

إن المعلم إن تولوه تَكرُمة تَرَوا على يده من صنعه عجبا

من الصناديد أبطال لبوسهم من الدروع تَفُلُّ النَّبعَ والغَرَبا

وتستفيق خيول الفتح من سِنَةٍ طالت ، ويبزغ نجم في السماء خَبا

ويعلم الجمع أنا لا نزال هنا وأننا عرب نستنهض العربا

❑

سيدي موسى

إنهـا القرية التي شـهدت أبشع المجـازر في المسـلسل الدمـوي الذي يعـصف بالجزائر ، وقـد كان الشاعر مـدرساً في مدرستها قبل حوالي ربع قرن .

(سيدي موسى)

قريةٌ وادعةٌ تفترش السهل وتستجدي الغمامْ

هَدَّها الإعياء والكدُّ ومالت لتنام

أغمضت أجفانها ذابلة بعد الغروب

صفرة في الأفق تبدو ، وعلى الوجه شحوب

أيُّ هولٍ خبأته الريح في جوف الظلام ؟

أيُّ كابوسٍ رماديٍ سيغتال النيام ؟

صِبْيَة ، شِيبٌ ، وأفراخ حمام

ضَمّهم حضن وأعياهم سقام

هجع الجمع وناموا في سلام

***

(سيدي موسى)

إنني أعرفها

صحبة تربو على العشرين عام

طالباتي كُنَّ في الفصل كأسراب اليمام

أنني أذكر ليلى وخديجة

خضرة العينين من سهل "متيجه" (١)

وشموخ الأطلس العالي على الجبهةِ وشمٌ وضفيرةْ

نكهة الكرمة في الخَدِّ ولون البرتقال

وارتعاش الشجر الأخضر في حضن التلال

يتمطى السهل خصباً تحت أقدام الجبال

ما الذي تحمله الريح وتسفيه الرمال ؟

ما الذي يزحف منهوماً كأسراب الجراد ؟

ووحوش تحمل الموت بأسنانٍ حِدادَ

تمطر الدنيا رصاصاً وحراباً ونِصالْ

---

(١) سهل متيجة هو أكبر سهول الجزائر وفيه تقع قرية "سيدي موسى)

صرخت ليلى ، وضجت في السؤال :

يا صغاري ، أين أنتم ؟

هرع الصبية من رعب وهول وانبهار

واحتواهم حضن ليلى

خمسة ، سادسهم في البطن ما كَحَّلَ عينيه بميلاد نهار

رجفت ليلى وضمتهم وما طال انتظار

وَلَوَلَ الوحش وشبّت في زوايا البيت نار

صهلت ليلى ، أحاطتهم ذراعاها وفاض الكون طوفان دماء

لم تكن تلميذتي ليلى وحيده

حصد الموت مئات

وذئاب الليل فَرّت في ثبات

تزرع الموت الذي يُعوِّلُ في كل الجهات

***

(سيدي موسى)

قريةٌ من ألفِ ألفِ حُرِمَت طعم الحياةْ

لم تذق للنوم طعماً

ألَقُ العينين مات

كل يومٍ وعلى أرض الجزائرْ

دم هابيل وآلاف المقابر

كل شبر أنبَتَ العِزَةَ في أقدام ثائر

فيه دَمٌ ودموعٌ ومجازرْ

أفلا يرتدع البغي ؟ ألا تصحو ضمائر ؟

***

هذه الأرض المهيبه

قد خطت من فوقها بالعز أقدام "حسيبه" (١)

كيف صارت فجأة أرض "جليله" (٢)

صرخت قاتلةً مقتولةً

آه ، ما ألعنه جرح القبيله !

تربة المليون والنصف شهيد

صرخة الشعب الفدائي العنيد

فرح الأمة في أحزان هذا العصر

من يغتاله ؟ فرح العرب الوحيد

شعلة الأوراس من يطفئها ؟ (٣)

من تراه المارق الباغي الحقود ؟

سارق النور الإلهي المجيد

***

---

(١) هي حسيبه بنت بو علي ، إحدى بطلات حرب التحرير ويطلق اسمها على أحد أشهر شوارع العاصمة الجزائرية .

(٢) هي جليلة بنت مرة ، أخت جساس وزوجة كليب وإحدى شخصيات حرب البسوس المشؤومة .

(٣) الأوراس ، سلسلة جبلية في شرق الجزائر اشتهرت بكونها أهم معاقل الثورة الجزائرية خلال حرب التحرير ضد فرنسا .

سكن الليل ، وظلت "سيدي موسى"

رايةً خفاقةً تحلم بالفجر الوليد

جثةً هامدةً تنتظر الميلاد والبعث الجديد

صوتها يقطر حزناً ، يملأ الدنيا نشيد

جرحها النازف شلالاً وريداً فوريد

دمها المسفوح غدراً

دم مليون شهيد

١٩٩٨/١/١م

❑

شمس الأصيل

يُؤَرقني كل هذا الرحيل

وليلي الطويل

وولولة الريح إن رفعت صوتها بالعويل

تسوق السّوافي وتوصد كل سبيل

خيام مدى العين قد طَوَّحتها

ومن وهج الرمل يعلو رغاءٌ وتشتدُ حَمحَمَةٌ وصهيلْ

أُلَملِمُ بعض كياني وأحمل سيفي الصقيل

وأمضي أفتش عن كلأٍ مستحيل

وأحلم بالماء وسط اليباب

وأهفو لظل ظليل

لنار القِرى لدماء القبائل فَوّارةً في عروقي

ويطرب أذني سماع الصليل

أحن ليوم حليمة يوم البسوس وثارات جدي القديم

وبيت به الريح تخفق

تصحبني حين أرحل قافلةٌ من حريم سبايا

صبايا بني العم من مضر أو بكيل

وأحفظ عن ظهر قلبي كل بحور الخليل

وغنيت من بعدها (ميجنا وعتابا)

(وجفرا وياهالربع)

ولكنه الربع خالٍ يباب

بحار من الرمل مصيدة من سراب

وواصلت سيري أغذ خطاي أدق على كل باب

وأرهف سمعي وما من جواب

أناموا ؟ أم ارتحلوا ؟ أم طواهم كتاب ؟

أَلا من دليل يُخَبِّرني عنهُمُ

ويأخذ عمري ولو كان في ريعان الشباب

يذكرني طول هذا المسير

وبؤس المصير

بعبرة أمي

التي ودعتني بها من ثلاثين عام

وقد أومأت لي بغير كلام

تذكرني : أنت يا ولدي من مواليد عام الرحيل

قبيل الغروب ونحن نودع شمس الأصيل

❑

شجب وأخواتها

إنّا لنشجب دوّي الصوت مرتفعاً وما تُغَيِّرُ سوء الحال أقوالُ

ولا البيانات من نارٍ يُدَبِّجُها عظيم قوم رفيع الشأن مِفضالُ

قد ضَنَّ بالروح أو بالمال يبذله "فالجود يفقر والأقدام قتّال"

في كل يوم نرى من بطشهم صوراً عجائبٌ كل ما فيها وأهوال

تدمي القلوب التي في خفقها رمق وفي تباريحها لله إجلال

ولو ترانا إذ التنديد سلعتنا منها سيبتاع فتيان وأشبال

على أكفهم أرواحهم سبقت إلى الجنان لنيل الخلد أطفال

براعم هتفت للمجد وانطلقت أبيةً هزَّها كِبرٌ وإقبال

على الجهاد إذ الرايات قد خفقت وتحتها خف جند الله وانهالوا

على عدوهم رجماً وما وهنوا ما ضرَّهم أن تَخَلّى العمُّ والخال

أو اكتفى أنه قد دان في غضب مفنداً بالدعاوى زيف ما قالوا

❑

في كل يوم تعالت صيحة ودوت ... مستنكرين ولكن ليس أفعال

إنا لنصرخ ملء الكون صرختنا ... وما تَبَدَّلَ من صرخاتنا حال

ما درب "مدريد" عن بالي بغائبةٍ ... ولا السلام الذي مَنَّوا وما نالوا

ما يوم "أوسلو" و "واشنطن" يتبعه ... إلا هوانٌ وتفريطٌ وإذلال

هذي الشواهد ما تنفك تَصفَعُنا ... مستوطنون وأوباشٌ وأرذال

يدنسون حمى الأقصى وحرمته ... ما انسَلَّ سيفٌ ولا حطين تنثال

في البال أغنية يشدو بها ثمل ... ألا يمزق صمت الليل مَوَّال

يقول هانت علي أهل وفى وطن ... تلك المفاخر واليوم الذي صالوا

في سهل حطين حيث الأسر جَمَّعَهُمْ ... الإنجليزُ بل الألمان والغال

الكل عند صلاح الدين مُرتَهَنٌ ... كأنهم ما عَدَوا ولا جالوا

مفاخر أين منها نحن واخجلي ! ... ورقعة الأرض أمارٌ وأميال

مـحدودةٌ إذ (نتنيـاهو) يُفَصِّلُهـا ونحن نلبـس والملبـوس أثمـال

فليس يسـتر عـُرياً ما كسـتك به أوسلو و(مدريد) والكيل الذي كالوا

ولا الوساطات من (روسٍ) وزمرته يميل حيث بني صهيون قد مالوا

يا قومنا ليس غير الشعب مُنتفضاً ولا يُكَبِّله قـيـدٌ وأغـلال

يدك ما شـيد البـاغون من عـُمُدٍ كـأنه في مـجـال الهـدم زلزال

والقدس إن صرخت في وجه غـاصبها لـبى نـداهـا صنـاديـدٌ وأبطـال

مـجـاهدون بأكناف لهـا صُبُـرٌ عليـهمُ من نَـجـيع الَدمٍ سـربال

ونستـفـيق على حـريةٍ سطعت صرحٌ علا باسمـها وازدان تمثال

المملك العربية السعودية

❑


ليلة العيد

يا ليلة العيد كم هيّجتِ أشجاناً ... وكم تَوقَّد فيك الشوق نيرانا
إني حننت إلي صَحبٍ وأفئدة ... تعانقت في ظلال العيد إخوانا
فيما مضى كنت بالأعياد مُنشرحاً ... وكنت أسعد خلق الله إنساناً
لا كنت يا عيد حيث العقد منفرطٌ ... ولست تجمع أحباباً وخِلاّنا
لا الدار داري فأشدو في مرابعها ... ولا الرفاق ولا العيد الذي كانا
لا عدت يا عيد والأيام دائرةٌ ... قد بَدَّلت بليالي الوصل هجرانا
بلا فلسطين لا عيدٌ يطيب لنا ... ولا ارتضينا جنان الخلد أوطانا
مهاجرون بأرض الله لو رحبت ... ضاقت علينا وقد ضنت بمنفانا
جراحنا راية في الريح نشرعها ... ونلثم الجرح مهما الجرح أدمانا
عيوننا تسلب الجلاد هيبته ... فيستحيل جبان القلب حيرانا
وخلفنا قد تنادت أمةٌ وعلَتْ ... بيارقٌ تحمل اسم العرب عنوانا
دانت جَحافلُها العدوان وانتصرت ... إذ أشبعته بياناتٍ وإعلانا
ولعلعت مهرجاناتٌ مدوِّيةٌ ... وصَيَّرت شهداءً كلّ قتلانا

يا أمة أصبح التنديد مدفعها — من الكلام حباها الله بركانا

إنا لفي زمن أضحت به شجب — أخواتها الكُثر لا إن ولا كانا

قذائف من بنات الضاد نرسلها — عنيفة خرقت للخصم آذانا

ما همها غاصب في القدس دنَّسها — ولا تنادت لنهر الدم في "قانا"

ولا كان "نتنياهو" يُمرِّغها — أنفاً ، وتشرب كأس الذل ألوانا

أين السلام الذي في زعمهم صنعوا — والراعيين ؟ أخالُ الذئب يرعانا

هذا الهوان الذي ساقوه مهزلة — وليس صناعه في الناس شجعانا

يا ليلة العيد قد هيَّجت لي شجني — وعدت بي مُدنف الأشواق ولهانا

أُسائل العيد هل مرَّت نسائمهُ — على (الجزائر) أو طافت (بوهرانا)*

سل (البُلَيْدة) ذات الحسن والهفي! — هل عيَّدت واكتست ورداً وريحانا

سل (المديَّةَ)في عليائها انتصبت — منيعةً شمخت عزاً وبنيانا

عن الدماء التي في ساحها سُفكت — زكيةً سُفحَت ظلماً وعدوانا

عن المجازر ما أبقت على أحد — أو ميَّزت بينهم شيباً وشبانا

---

* ما بين الأقواس "الجزائر" ، "وهران" ، "البليدة" ، "المدية" أسماء مدن جزائرية

قد كـان لي في ثراها ملعب خَضِلٌ لا زلت أذكـره شكراً وعـرفـانا

حَيٍّ الجزائر والـشُم كِبْرَ دمـعتـها وتربها - هانت الدنيـا وما هانا -

هانت فرنسا وجَرَّت ذيل خـيبتها من بعد أن شبـعت خِزياً وخذلانا

لا عدت يا عيـد إلا والسلام على ربوعــهـــا عَمَّ ودياناً وشـطآنا

❑

يبكي ويضحك

"يبكي ويضحك لا حزناً ولا فرحاً"[1] فيروز تنشج أم قيثارها صدَحا

والكون ينشد من أعماقه ثملاً نشوان ، لا خمرةٌ تُزجى ولا قدَحا

في هَدْأة الليل والسكين مغمدةٌ والقلب طائر شوق مُدنَف ذُبحا

رَفَّت جناحاه ، واهتزت فرائصه حلاوة الروح والدم الذي سُفِحا

والكون ينثال في الآفاق أغنية يا من لطير وحيدٍ مرغماً نزحا ؟

مهاجر ليس يدري فيم هجرته ولا متى غيّبت أحزانه المرحا

يجوب رمل صحاري العرب مذ لمعت عيناه نوراً وإشراقاً وما برِحا

ما في المحطات من خِلٍّ يُوَدِّعُهُ ولا يدٌ لَوَّحت من وجدها فرحا

لا نخل بغداد يحنو فوق هامته أو شط دجلة حَيّا قارباً جنحا

ولا بوهران ذات الحسن قد ثملت نشوانةٌ إذ تَبدّى ليلها صُبُحا

حيث الحسان على شطآنها انتثرت لآلئاً ، شُهُباً ، وحشيةً ، جُمُحا

لا رمل بيروت في الشطآن يعرفه والمعجزات التي في ساحها اجترحا

---

(١) الشطر الأول مطلع أغنية لفيروز

أيام ملحمة الدنيا هنا انبثقت فيضاً من الدم والبرق الذي سنحا
ولا تَذوَّق من صنعاء كرمتها أو ألقَمَتْهُ شآم ثديها بَلَحا
فيم المدائن والشطآن يَذرَعُها تَسوقُهُ الريح ، شِلواً ضائعاً ، شبحا
على الرصيف إذ الشرطي يرقُبُه والليلُ والبوم والكلب الذي نبحا
يَشي به ، عَلَّموه كيف يتبعه وكيف ينهشُهُ إن شَطَّ أو جَمَحا
هذي الغمامات ما انفكت تطارده فيُتْبِعُ الشدو دمعاً ما غفا وصحا
وينظم الشعر ألحاناً يُجوِّدها حتى إذا اكتملت أزرى بها ومحا
ما أبدعت يده فنا وما رسمت ما اعتاد إلا جراحاً تنزف الملحا
'سيزيف' أورثه هماً وصخرته يعاند الموج والتيار إن سبحا
ما الحزن إلا سحاباتٌ مُوَشَّيةٌ بيضاء ، قطر الندى من وشيها رشحا
أذاب في القلب نوراً وانثنى خضلا نحو الجفون فأدمى حيث ما جرحا
تفتحت كل أبواب الحياة له على مصاريعها والقلب ما انفتحا

❑

وتركت قلبيَ في دمشق

وتركت قلبيَ في دمشق على مدارج "قاسِيونْ"

كَلِفاً بباسم ثغرها وبسحر طلعتها الفَتون

وبصوتها العذب الشَجِيِّ وومضِ هاتيك العيون

"بردى" يداعب جفنها وخِضابُها من "مَيسلون"

والغوطة الفيحاء حضنٌ دافئٌ عَبِقٌ حنون

بعباءة من سُندس عَطِرٍ تَلَفَّعَت الغصون

عربية من "عبد شمسٍ" لا تَذِلُّ ولا تَهون

النار مِلءُ فؤادها والنورُ من ألَقِ الجفون

أموية راياتها خفقت على كل الحصون

وتَوشَّحت بالنار تقتحمُ المخاطرَ والمنون

أحنى لها التاريخ هامَتَهُ وأطرق في سُكون

هذي دمشق ومثلها ما كان يوماً أو يكون
يَهفو لها العُشّاق والشعراء والمتصوفون
إني عشقت تُرابها والعشق آخِرُه الجنون
ماذا أُحَدِّثُ يا صحابي والحديث له شجون
قلبي تركت وديعةً ومضيت بالدمع الهتون
غادرت فاتنتي دمشق وسرت تدفعني السنون
وتركتها ترنو إلى الجولان والاسكندرون
وتُعبِّئ البارود والخبز المقدس في الجُرون
وتُهيِّئ الساحات والرايات للزمن الخؤون

❑

إلى التي خطرت بالبال

إلى التي خطرت بالبال تسألُني قـصيـدةً عَذُبَتْ منهـا قوافيـهـا

رقيقةً من شغاف القلب تَسكُبُها بديعة القَدِّ ، قد رَقَّت حواشيها

شَفَّت غـلائلها عن حُسْنٍ فاتنة يُحَيِّـر اللُبَّ باديهـا وخـافيـهـا

كـمِثْلِ شِـعرك أيام الصِـبا دَنِفـاً قصائداً من بنات الشَوق تُزجيها

أيام كان الـهوى والوجد أغـنيةً وكنت مُطرِبَها حـيناً ومُشجيـها

فـقلت فـاتنتي رِفـقـاً ومـعـذرةً إنَّ القـوافي تُوافي من يُوافـيـهـا

ومن يَهيمُ بهـا صباً يذوب هوىً ومن بجمر الجوى والوجـد يذكيها

ذاكَ الذي تذكرين الأمس غنوته قد شَـيَّبتهُ البـراري وهو يَطويها

ليس ابن خمسين من غِرٍ يفيضُ هَوىً ولا الليالي التي شابت نواصيها

من بعد أن ذرع الدنيـا وعانَدَها وطاف بالأرض قاصيها ودانيها

يا حُلوتي خَلِّ هذا القلب في سَكَنٍ ... دعي الدموع الغوالي في مآقيها

ما نفعُ أن نسأل الدنيا ونَنْشُدُها ... عَـوْداً لما فات من أحلى ليـاليهـا

وليس يرجع ماضٍ لو حَلِمتَ به ... وهامت النفس في أغلى أمانيها

فاقنع بما جـادت الأيام من كَرَمٍ ... فليس للنفس غير الذكر يُحييها

أما رأيت ورود الروض إن ذَبُلت ... يَظَلُّ نَفَحُ شـذاها كـامناً فـيـهـا

تظل صفصافةٌ تعلو وقد علمت ... غاض الغدير الذي قد كان يرويها

رأيتهـا شمخـت مَزهُوةً وعلت ... لـم تدر أي السواقي كان يسقيها

هي الحياة فما أعطت وما أخذت ... حُلواً ومُراً سقتك الكأس من فيها

❑

بستان عائشة

مستوحاة من قصيدة (بستان عائشة)
للشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي .

يا وجه عائشة الخجول

قمراً تلألأ في الحقول

خفقت لطلعته القلوب

وهَزّها قَرعُ الطبول

من مريم العذراء هذا الطهر جَلَّلها وفاطمة البتول

***

مناديل عائشة المُطرَّزِ بالأماني والأريج

ويدٌ تُلَوِّحُ بالوداع إذا مضى ركب الحجيج

"طاب الحنين" (١) بثغر عائشة ، له طعم النشيج

بستان عائشة الذي يمتد من طرف الخليج

مسكاً تَضَوَّع طيبُهُ عبقاً ومنظره بهيج

***

(١) مطلع اغنية فلسطينية كانت تغنى في وداع الحجيج .

بستان عائشة الذي يزدان في كل الفصول
تغفو على (الخابور) [1] ضفته وتَسرح في ذُهول
وسحابةٌ قد ظللته تظل تُمعن في الهطول
وتجاوز (الأردن) و (العاصي) [1] وهاتيك السهول
وبِشَطٍّ دجلة والفرات وقد تَدَثَّر بالنخيل
حامت يمامات ثكالى ما تكف عن العويل
خيطٌ من الدم والدموع يسوق جيلاً إثر جيل
لا يستجيب لصوت عائشة المُنَغَّم كالهديل
لندائها الحاني تَدَفَّق أُقحواناً في "الجليل"
خيلاً تَكُفُّ عن الصهيل
وتفيءُ للظلِّ الظليل
بستان عائشة الذي يمتد ما امتد السبيل
لسمائه قمر خُرافيٌّ يَحار به الدليل
وطن التكايا والزوايا الحالمات ضُحىً وأرض المستحيل

❑

---

(١) ما بين الأقواس أسماء أنهار في بلاد الشام .


عبـــاس

كان عباس صديقي يا رفاقْ

وجهه يَنضَحُ بِشراً وحُبوراً وانطلاق

يملأ الحارة ضحكاتٍ هَنيَّهْ

وأغانٍ قَرويّهْ

ذات أنغامٍ شَجيّهْ

لم نكن نعرف ما معنى "القضيهْ"

صِبيةٌ كُنّا وللزيتون في أفراحنا أحلى المواسم

وعبيرُ الزعتر البرِّي عِطرٌ لا يُقاوَم

***

وكبرنا ، غاب عباس صديقي فجأةً دون وداعْ
وسألت الصحب عنهُ
لَفَّهُمْ صمتٌ وطوفان التياع
وأنا خَبَّأتُ وجهي
أمطرت عيني وأعياني صُداع
شَفَّني وَجدٌ وأضناني اشتياقْ

ومضى عباس ما أبصرتُه يوماً

وطال الانتظار

وسألت الليل عن خِلّي وأطراف النهار

ونَشَدتُ الريح في تَجوالها عبر القفار

نَبَّأتني أنه من وَهَجِ "الغور" ومن ساح "الكرامه" (١)

بدأ الميلاد والبعث ومعراج القيامهْ

جُرحُها أورَثَهُ في الخَدِّ شامهْ

وعلى الجبهةِ وشمٌ وعلامهْ

ومن "العَرقوب" جُرحٌ دائمُ النَزفِ عميقْ (٢)

ضَمَّدَ الجرُحَ ووالى سيرَهُ

(١) و (٢) الغور ، الكرامة ، العرقوب هي أسماء أماكن في الأردن وجنوب لبنان كان للفدائيين فيها نشاط بارز

ومضى عباس ما ضَلَّ الطريقْ

ورفاق الدرب قد أودَعَهُم في القلبِ قبل التُربِ

مُلتاعاً رفيقاً فرفيق

ومضى يذرَعُ أرض اللهث

يَجتازُ المخاضاتِ مَضيقاً فَمضيقْ

مَرَّ عباس على أرض الجزائرْ

خاشعاً صَلّى على المليون ثائرْ

ومن الصين ومن فيتنام جاءَتهُ البشائرِ

"وبهافانا" أحبَّ الناس والثُوار

واستدرجَهُ طعمُ السجايرْ

دم "جيفارا" الذي قد أشعل الدنيا مَنائرْ

صبر "منديلا" الذي يصنع نصراً بالأظافر

عَلَّماهُ كيف تَخضرُّ من الجرح ورودٌ وأزاهرْ

***

كَبُرَ الحلم الذي يحمله عباس

أضحى قمراً يَسطَعُ في ليل "الجليل"

صخرة "القدس" على كاهله يحملها وَهناً ويمضي في السبيل

"ناصرياً" يُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ

من عِلَّته يشفي العليل

لم يكن يعرف أن الحلم ممنوع وأمر مستحيل

وصحا عباس من إغفاءة الحلم الجميل

فإذا الثائر شُرطيٌ كسيرْ

أوثَقوهُ واهن الخطو أسيرْ

فوق شبرٍ من قفا الأرض

التي قد صام كي يُبصِرَها العُمْرَ الطويل

طلبوا أن يُوقف الريح وأن يمنع في البحر الهديرْ

طلبوا أن يسلب الريش من الطير الصغير

والعصافير التي تحلُمُ يوماً أن تطير

واليمامات التي تشرب من ماء الغدير

ما لهذا صام عباس رفيقي و"تمرمر"

حاني الجبهةِ أفطرْ

فإذا الإفطار علقم

مات من حسرته عباس فوراً ما تكلمْ

غير أن النورس المغدور في عينيه خنقاً

قد تألم وتألم وتألم

❑

يــافـــــا

إلى صديقي الناقد الأستاذ ممدوح القـديري ، الذي سألني عن سر تعلقي بيـافا وتكرار ذكـر اسمـها في عـدة مواضع من قـصائـدي، مع أنني لست من أبناء يافا. ومـا عرفت لذلـك سببـا، ولا لاحظت ذلك أو تعـمدته قبـل أن يلحظه . لكنني بعدها بـدأت أرصد هذه العـلاقة ، وهذا الحبل المتين الذي يربطني بيـافا التي لم ترها عـيني، وكأني أختزل فـيهـا كل وطني فلسطين . فكانت هذه القـصيـدة جواباً على تـساؤل الصديق .

"أذكرُ يوماً كنت بيافا" [1]

والشاطئ ساحةُ بلّورٍ وصَبيٌ يجمع أصدافا

مرساةً كان القلب الغضُّ وكان الساعدُ مجدافا

أشرعةٌ بيضٌ ملأت وجه البحر

وخيولٌ بيض جمحت فوق الرمل

ونوارس بيضٌ سنحت غطَّت عين الشمس

والموج المتدافع يغمره

ما اهتزَّ الطفل وما خافا

بل غنى أعذب أغنيةٍ

صوتٌ قد فاق الأوصافا

وانساب رقيقاً شفافا

"يا أيام الصيف بيافا

وشراعي في مينا يافا"

***

(١) مطلع أغنية مشهورة عن يافا

في ومضِ العين ونبضِ القلبْ
ما زالت يافا نور الدربْ
بوصلةَ الحائر في الزمنِ الصعبْ
وشمساً لا تغرب في الغرب
في حدقِ العين ، وحضن الأم وزند الأب
في شَفةٍ من تينٍ وعيونٍ من زيتونٍ
في فردوس الرب
في الذاهبِ منا والآتي
في الحاضر منا والغائبِ
في باقة وردٍ ، في حفنة حَبّ

يافا تتوهَّج قنديلاً

وسراجاً وهاجاً في القلب

وأنا أقسم بالله ثلاثاً يا أغلى صحب

ما وطئت قدمي حبة رمل من يافا

ما اكتحلت عيني برؤى "بيارات" الذهب اللامع في يافا

لم ينفح أنفي عطر الليمون ولا رائحة الجوافا

وولدتُ وقد رحلت يافا

ما قلت رحلنا عن يافا

***

ما كان أبي أو جدّي من يافا

لكني أشتاق ليافا

وأتوق لجنات ألفافا

والدنيا تمطر أطيافا

فأرى ما لم تره عيني

ما زاغ البصر ولا أنكر قلبٌ ما شافا

ورأيت "العجمي" و"أبو كبير" (1)

سمعت نداءً وهتافا

ينساب شجياً رقراقا

يستوطن في القلب شغافا

يترنم عشقاً بتسابيح الفجر

يُمجد للخالق ألطافا

---

(1) معالم رئيسية في يافا

صوتاً منبعثاً من مئذنة ثكلى في يافا

ورؤى تمتد على الجنبين

وحوراً عانق صفصافا

ينتصب سياجا أبديا

يحرس بيارات "الشموطي" و"أبو صرة" في يافا (١)

فأنا أنكر ما زعموا :

أن طاف عليها من ربك ما طافا

تسكن أوردتي وشراييني يافا

حبلُ سُرّيٌ يربطني

حبلٌ ممتدٌ من "نابلس" إلى كل منا في الأرض إلى يافا

***

(١) نوعان من البرتقال اليافي المشهور

سنوات خمسون أجوب الأرضْ

وأذرعها طولاً في عرضْ

قد بُحَّ الصوت وحشد المستمعين انفضْ

وأنا وحدي ما زلت أغني وفمي ما فُضْ

"أذكر يوماً كنت بيافا

وشراعي في مينا يافا"

١٢/٥/١٩٩٨م

❑



لماذا إذا حلَّ ركب المساء

وقبلت الأرض كَفَّ السماء

وخُضِّبَ وجه الأصيل بلون الدماء

تدافع ليلٌ وأسدل فوق الوجود رداءً

من العتم والخوف والرعبِ

حتى النجوم اعتراها ذهولٌ ورعبٌ

توارت وراء الغيوم

ولفَّ الوجود وُجومْ

تَمورُ بحار من الوجد في القلب

تحدو لقافلة من بكاء

***

لماذا إذا جن ليل الشتاء

وأعولت الريح في كل فج

وثار غبار وسَدَّ الفضاء

وانتحب الغيم فيضاً من الدمع والوصل

تخضل أرض تصلي لخالقها في السماء

وأسمع صوت المزاريب إن أجهشت بالبكاء

تُرَجِّع في الليل ترنيمةً للحنين

مواصلةً دمعها والأنينْ

نَشيجٌ تردد عبر السنين

تدفق في القلب شلال حزنٍ

ومن وهج العين يهمي مطر

ولاحت بقايا صُور

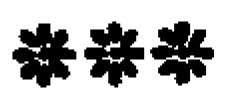
وأطياف أحبابيَ العابرين تزاحم عبر الممر

من ارتحلوا واستكانوا وهاموا

وضَيَّعت منهم دقيق الأثر

ومن طال نومهم واستراحوا

وَوَسَّدتُهم بيدي في الحفر



لماذا إذا ناخ ركب المساء

وشَنَّف أذن الوجود حداء

رخيمٌ، رقيقٌ، رخيُ النداء

تَرنَّم في الغاب ناي حزين

وموَّال شوق شَجيٌّ الغناء

تنغم عبر شفاه الرعاة

يسوقون قطعانهم في هناء

تُردده جوقة الحاصدين

كمثل الطيور تعود لأعشاشها في المساء

يهدهدها تعبٌ وعياء

***

زمان قديم قديم مضى

وصوت تبعثر عبر المدى

تناثر فوق الحقول العجاف

وهام طويلاً بغير هدى

تضاءل حتى المكان الفسيح

وهذا اللسان الذي كان يوماً فصيحاً

يُنَمِّقُ ألفاظه ويصيحُ

ويحمل يوماً صليب المسيحِ

اعتراه الصدا

وحتى الزمان الجريح احتواه العِدا

وفي القلب غارت خناجرهم والمُدى

ولم يبق إلا رجيع الصدى

يجيء كسيحاً بلون الردى

يغمغم : يا ناس ما في "حدا"

فحتامَ تورون كَومَ الرماد

وتطحَنُ أضراسكم مُرَّ شوك القتاد

وصوت النعي يردد في كل ناد

خَبَتْ ناركم وتلاشت وضاعت سدى

١٠/٥/١٩٩٨م

❑

خمسون عاماً

خمسون عاماً يا أُخَيَّهْ أرنو لطلعتك البهيهْ

وأخطُ ألفَ رسالةٍ ، في كل صبحٍ أو عشيه

طال انتظاري ، لا بدٌ من وجدها تزجي تحيه

قيسٌ أنا يا حُلوتي يرنو لليلى العامريه

قد جئت أقبس قبسةً من وهج ناركم الدفيَّه

هي نظرة لو بعدها أعشى وتُطفَأُ مقلتيه

ما شَفَّني ندم ولا ستقبلها نفسي رضيه

وسألتها : من أين هذا الحسن والريح الزكيه

من أينَ أنتِ ؟ سحرتني قولي بربك يا صَبِيّه

من أي أرضٍ تُنبت القامات من عِزٍّ رماحاً سمهريه

زيتون هذي العين نَرجسها ، ونظرتها الأسِيّه

"مرج ابن عامر" في الخدود ولون حِنطته الشهيه

وجمعت سحر "دليلةٍ" جنباً لطهر المجدليه

قالت : أصبت فإنني يا سائلي بنتُ القضيه

في ساحة الأقصى ولدت وصُنت جيرته الهنيّه

ورضعت من عنب الخليل ، نَقَشتُه في ساعديّه

بنت الروابي الخضر تعبق زعتراً أو "مير ميه"

وكبرت تحرسني الشمائل والخصال اليعربيه

وحفظت أشعار الحماسة والقوافي العَنتريه

وهتفت حتى بُحَّ صوتيَ بالأهازيج الشجيه

وأحلت كل هزائمي نصراً وأمجاداً أبيّه

ورأيت خيل الروم داستني حوافرها الشقيه

وشهدت رايات المغول وهول زحف البربريه

ولقد حززت ضفائري لأذيقكمُ طعم الحَميّه

وصنعت منها للخيول أعنة النصر القويه

وصرخت ملء فمي فلسطينية نادت أميه

ورنت لرايات الجهاد وللسيوف المشرفيه

وهفا إلى حطين قلبي ، بل لخيل القادسيه

وسخرت من هذا السلام وجدته أدنى مَطيّه

ورأيت فيه مكيدةً لا تنطلي أبداً عليَّه

لينُ الملامسِ يختفي في الناب منها سُم حَيّه

خمسون عاماً والقرابين المباركة الزكيه

ودماء أحبابي تسيل ضحيةً تتلو ضحيه

نهر من الدم والدموع أغوصُ حتى ركبتيّه

هذا دمي وتقاتل الجلاد حتى مُقلتيه

فأنا فلسطين التي لم تحن هامتها العليه

كل الغزاة مضوا وعكا درعها أبداً عَصيّه

سل عنه نابليون تعرف خِزيه كل البريّه

إذ رَده "الجَزّار" مدحوراً وهيئته زَريّه

بئس السلام فُتاتُهم والسِلم سِلمُ البندقيه

١٤/٥/١٩٩٨

الفهرس

من قائمة الإصدارات

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
في لهيب الشمس	رأفت سليم
أنا كنده	كيروجا ترجمة: رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
صعيدى صَح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محي الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
فرد حمام	يوسف فاخورى

مسرح ..

العنوان	المؤلف
هذه الليلة الطويلة	د.أحمد صدقي الدجاني
اللعبة الأبدية (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبد الحافظ

شعر ..

العنوان	المؤلف
أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
إضاءة في خيمة الليل	على فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
حواديت لفندي	عصام خميس
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي
صلاة المودع	صبري السيد
دنيـــا تناديـــا	طارق الزياد
إذهب قبل أن أبكى	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدي رياض
غربة الصبح	محمد الفارس
ونّس	محمد الحسيني
ليالي العنقاء	محمد محسن
غنمة في حجر صيادها	ناجي شعيب
العجوز للراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد
في مقام العشق	نادر ناشد
ندى على الأصابع	نادر ناشد

دراسات ..

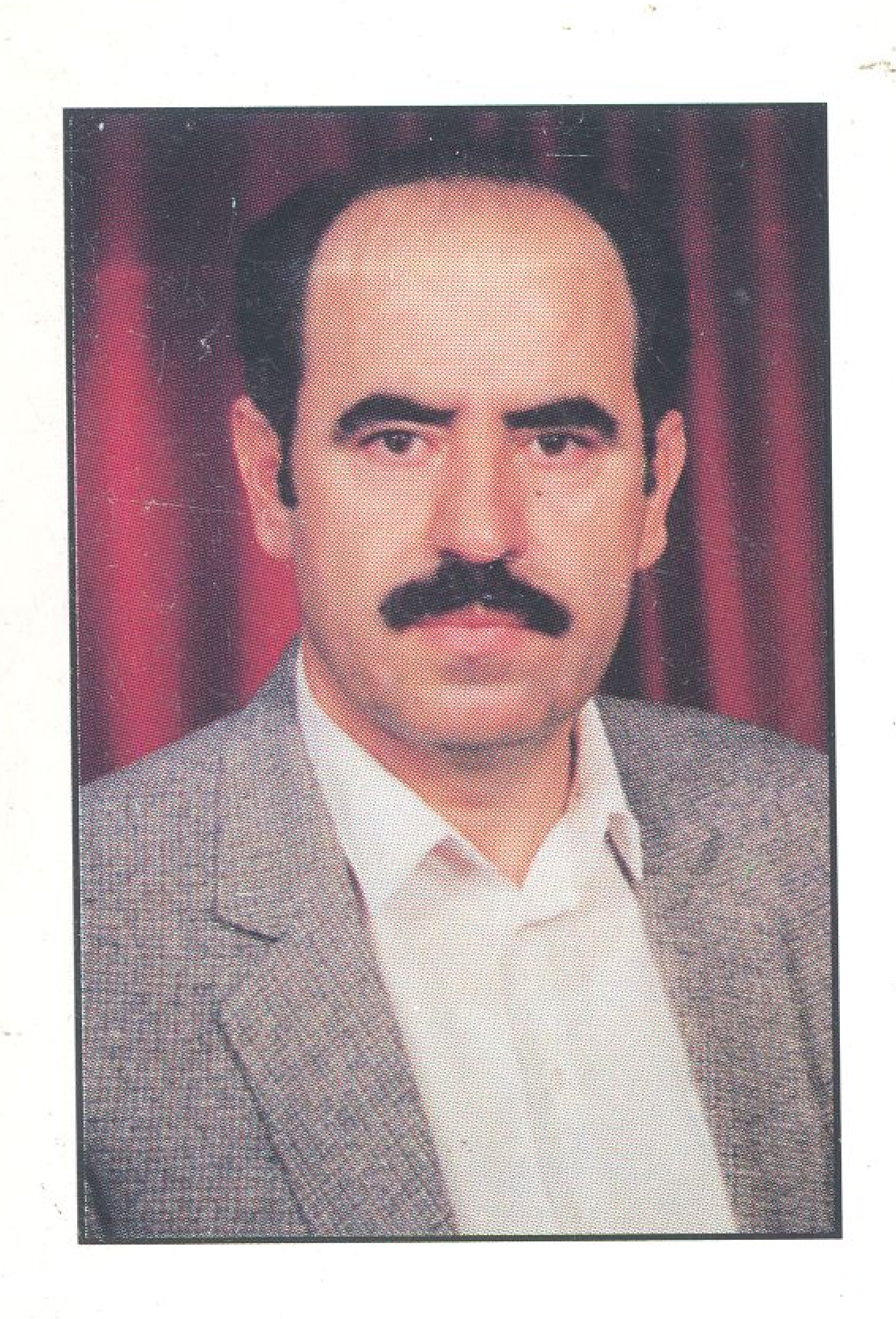
العنوان	المؤلف
هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحيات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
قراءة للعاشى فى بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادي
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
البعد الغائب : نظرات فى القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رحلة الكلمات	د . على فهمى خشيم
بحثاً عن فرعون العربى	د . على فهمى خشيم
أعلام من الأدب العالمى	على عبد الفتاح
من الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدى إبراهيم
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغنى

تراث ..

العنوان	المؤلف
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور	د . أحمد الصاوى
رمضان ـ زمان	د . أحمد الصاوى
القصص الشعبى فى مصر	إعداد خيرى عبد الجواد
إغاثة الأمة فى كشف الغمة	
الفاشوش فى حكم قراقوش	
الحكمة الخالدة لابن المقفع	

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية – قومية – دينية – معارف عامة – أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب – وثائق – النشرة الدولية – دراسات عربية – معلومات – ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة في الإصـــدارات لا تعبـــر بالضـــرورة عن آراء يتبـنـاها المركـــز



أوراق مسافر

ما ضَمَّني سفرٌ　　　إلا وأعياني

وأحالني شِلواً　　　مُتهالكاً فاني

نعشي على كتفي　　　من دون أكفانِ

يُطوى الشراع غداً　　　في مرفأٍ دانِ

ويغادر الملا　　　ح ليلاً وينساني

هي سفرة مزجت　　　شكّي بإيماني

.716

